

ويهما في هذا النص الإشارة الدقيقة إلى المشاكلة بين الأوزان وحالات النفس ، فحالات النفس هي التي تستدعى وتستحضر الأوزان ، وحين يكون المقصود بالأوزان في هذا الموضع البحور ، أو الموسيقى الخارجية ، فمن الملاحظ أن تلك الأوزان لا تكفي لتحقيق المشاكلة المنشودة بينها وبين حالات النفس ، فقد تشابه القصائد في البحر الذي نظمت فيه ، وتباين في الإفصاح عن حالات مختلفة ، أما الموسيقى الداخلية فهي الجديرة بأن تكون الصدى الحقيقي لحالات النفس . وأما قول حازم الذي استشهد به المؤلف ، فهو محاولة للتمييز بين طبيعة الأوزان وملاءمتها للأغراض ، أو للحالات النفسية ، ولكنه لا يعرض لقيمة الموسيقى الداخلية ، ودورها المهم في التمييز بين قصيدة وأخرى ، قد تكونان متفقتين في الوزن ، ولكنهما مختلفتان في الغرض .

ولعلنا نلاحظ شيئاً من التعميم في قول حازم : نجد في البسيط سبابة وطلاوة ، وفي المتقارب سبابة وسهولة ، وفي المديد رقة ولينا مع رشاقة ، وفي الرمل لينا وسهولة ، وفي الكامل جزالة وحسن اطراد ، وفي الخفيف جزالة ورشاقة . إذ ليس بإمكاننا أن نجد تحديداً دقيقاً للفوارق بين السبابة والطلاوة ، أو السبابة والسهولة ، وكذلك الحال فيما يتصل بالصفات الأخرى التي خلعتها على بقية البحور ، والأجدي من ذلك الاحتكام إلى الموسيقى الداخلية ، التي يصح أن تكون صدى للحالات النفسية المختلفة للشاعر^(٤٥) .

ويرى الدكتور طه حسين أن « البحتری من الذين ذهبوا مذهب أبي نواس وشعراء القرن الثاني من اختيار هذه الأوزان الخفيفة ، ولعله اختار هذه الأوزان وشغف بها ، لأنه أراد أن يكون شعره ملائماً لهذه البيئة السهلة المترفة ، التي كانت تعيش في قصور الخلفاء والأمراء »^(٤٦) . ويستشهد لتوكيد رأيه بقصيدة للبحتری نظمت في مجزوء الخفيف ، وهي :

خَيْفٌ فِي أَلْدَى وَعَدُّ سَيْلٍ وَضَلًّا فَلَمْ يَجِدْ

(٤٥) انظر : قضايا الشعر في النقد العربي للدكتور ابراهيم عبد الرحمن ١ : ٥٣ .

(٤٦) من حديث الشعر والنثر ١٢٢ ، وانظر القصيدة في الديوان ٢ : ٧٠٦ .